

مقومات الهوية الوطنية عند الحركة الوطنية الجزائرية

The components of national identity in the Algerian national movement

مذكور لزهري¹

¹ جامعة تيزي وزو، lazhar.medkour@ummtto.dz

تاريخ الاستلام: 2022/11/14 تاريخ القبول: 2022/12/24 تاريخ النشر: 2023/01/20

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى التعرف على مقومات الهوية الوطنية (الطابع الوطني) عند الحركة الوطنية الجزائرية، ومواقف الحركة الوطنية الجزائرية من المشروع الثقافي الفرنسي. وباستخدام المنهج التاريخي وتحليل المحتوى، وتمثلت أداة الدراسة في بناء شبكة تحليلنا اعتمادا على نظرية نقولاس هانز في تشكيل الأمة. توصلت الدراسة إلى:

إن الوطنية هي التي أدت بالحركة الوطنية إلى رفض المشروع الثقافي الاستعماري ومحاولة استبداله بمشروع تربوي متضمن الأبعاد الوطنية. الشخصية الجزائرية هي امتداد للأمة العربية الإسلامية لكنها لها خصوصيتها من النواحي التالية: التاريخ، اللغة والثقافة، البيئة الجغرافية (مناخ- تضاريس). إن المشروع الثقافي الاستعماري كانت له ثمار في الجزائر وهي وجود فئة مفرنسة كانت تمثل آنذاك النخبة وتكررت لتاريخ أمتها ولم تسير الحركة التحررية الثورية.

المؤتمر الإسلامي سنة 1936 كانت نعمة ونقمة في نفس الوقت، نعمة لأنه يعتبر أول تكتل وتجمع وطني ضم حركات من إيديولوجيات مختلفة، ونقمة لأنه يعبر عن التقهقر والتراجع في المطالب.

الكلمات الدالة: مقومات الهوية الوطنية، الطابع الوطني، الحركة الوطنية الجزائرية، المشروع

الثقافي الاستعماري، الشخصية الجزائرية

Abstract:

This paper aims to identify the components of national identity (the national character) of the Algerian national movement, and the positions of the Algerian national movement on the French cultural

project. Using the historical method and content analysis, the study tool was to build our analysis network based on Nicholas Hans' theory of nation formation. The study found:

Patriotism is what led the patriotic movement to reject the colonial cultural project and try to replace it with an educational project that includes national dimensions. The Algerian character is an extension of the Arab Islamic nation, but it has its own peculiarity in the following aspects: history, language and culture, geographical environment (climate - terrain). The colonial cultural project had fruits in Algeria, which is the presence of a French class that at that time represented the elite and denied the history of its nation and did not keep pace with the revolutionary liberation movement.

The Islamic Conference in 1936 was a blessing and a curse at the same time, a blessing because it was considered the first national bloc and gathering that included movements of different ideologies, and a curse because it expressed the retreat and retreat in demands.

Keywords: components of national identity; national character; Algerian national movement; colonial cultural project; Algerian personality.

مقدمة:

رغم ما كان يقوم به الاستعمار الفرنسي من محاولات تدميرية للقضاء على مكونات الشخصية الوطنية الجزائرية، وهذه الإستراتيجية التدميرية انطلت من رؤية نظرية ناتجة عن دراسة المجتمع الجزائرية ومعرفة نقاط ضعفه وقوته (إن الاستعمار لا يتصرف في طاقتنا الاجتماعية، إلا لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك منها موطن الضعف فسخرنا لما يريد.. حتى أصبح يتصرف في بعض مواقعنا الوطنية، وحتى الدينية من حيث نشعر أو لا نشعر). (1)

وبذلك نجد أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر عند تطبيق سياساته الهادفة إلى طمس الشخصية الجزائرية، كان ينطلق من رؤية نظرية ناتجة عن دراسة المجتمع الجزائري ومعرفة نطاق

ضعفه وقوته. فالمستعمر منذ دخوله إلى الجزائر أدرك حقيقة باستطاعتها ضمان بقائه وهي طمس الشخصية الجزائرية، وهذا بإحلال تربية تخدم مصالحه.

لقد عاش الشعب الجزائري قرابة قرن من الزمان تحت نير الظلم والاستبداد عانى خلالها الكثير، وقد استنشق الوعي من دعاة الإصلاح فكان ذلك إيذانا بصحو وتطلعات جديدة مناهضة للواقع الاستعماري المعيش، وقد تمخض عنها وعي سياسي قومي أكد على ضرورة دق ناقوس الخطر تجاه هذه الوضعية المزرية، ومن انعكاسات هذا الوعي ظهور حركة وطنية سياسية كنمط ثاني في النضال بعد الثورات المسلحة وتميزت هذه الحركة الوطنية في الاختلاف في مطالبها، وقد تشكل تيارات داخل الحركة الوطنية، وطبعا أن لكل حركة خلفية فكرية (أيديولوجية) انطلقت منها، وطبعا هذه الخلفية تؤثر في التصورات ووجهات النظر حول نوعية الثقافة التي يجب أن تسود المجتمع الجزائري، وبذلك فهي تنظر للمشروع الثقافي الفرنسي بنظرات مختلفة منها من لم يعارض المشروع الثقافي الاستعماري ومنها من رفض هذا المشروع وقام بجهود للمحافظة على الشخصية الوطنية.

إن جل الدراسات التاريخية حول الحركة الوطنية تمحورت حول الجانب السياسي مع الإشارة إلى أن هناك تيارات رفضت الثقافة الفرنسية، وبذلك هي رفضت المشروع الاستعماري، وعلى هذا الأساس تأتي هذه الورقة للإجابة على :

ما هي مقومات الهوية الوطنية (الطابع الوطني) عند الحركة الوطنية الجزائرية ؟

وما هي مواقفها من المشروع الثقافي الفرنسي؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

- التعرف على مقومات الهوية الوطنية (الطابع الوطني) عند الحركة الوطنية الجزائرية .

- التعرف على مواقف الحركة الوطنية الجزائرية من المشروع الثقافي الفرنسي.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث من أهمية التاريخ نفسه لأنه يساعدنا في المستقبل، إن الأزمات التي نعيشها اليوم بطبيعة الحال لها جذورها التاريخية لان فترة الاحتلال، وما بدلته فرنسا من جهود لطمس الشخصية الوطنية، كل تلك الجهود تركت بصماتها وتؤثر لا محالة على المجتمع الجزائري بكل منظوماته. يمكن أن يسهم هذا البحث في إثراء الفكر التاريخي

التربوي للحركة الوطنية الجزائرية، وأهميته في مواجهة محاولات الاستعمار في طمس الشخصية الوطنية بشتى مقوماتها من دين ولغة وثقافة عربية إسلامية وتاريخ عربي إسلامي. كما يمكن أن يساهم هذا البحث كذلك في جلب اهتمام المختصين والقائمين على الشأن التربوي لرفع الغموض في تاريخ الجزائر، وخاصة الحديث منه، واقتصار جل الدراسات للتاريخ الجزائري الحديث، وخاصة الدراسات المتعلقة بالحركة الوطنية على الجانب السياسي دون التعرض إلى الجانب التربوي والثقافي .

حدود البحث: يغطي هذا البحث فترة تاريخية صعبة بالنسبة للمجتمع الجزائري فالنسبة للمشروع الثقافي الفرنسي تمتد فترة الدراسة من سنة 1830 إلى 1962. أما الحركة الوطنية لقد ركزنا على الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى بداية الثورة الجزائرية أي من حوالي (1918 أو 1919 إلى 1954).

الإجراءات المنهجية للدراسة: سوف نقوم بتحليل مطالب الحركة الوطنية اعتمدنا على شبكة التحليل التي اعتمدنا في بنائها نظريا على نظرية نقولاس هانز، وعند التحليل أخذنا نموذج عن كل تيار، أخذنا حزب الشعب عن التيار الاستقلالي، وجمعية العلماء عن الإصلاح، والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري عن الاندماجي.

المنهج التاريخي: المنهج المناسب لدراستنا هذه هو المنهج التاريخي، وقد عرف De Landsheere البحث التاريخي بقوله: "يعمل البحث التاريخي على استرداد تطور الأحداث وتفسير مسارها، بالتركيز على معانيها الخاصة في النسق الذي ظهرت فيه" (2). وهذا يسمح للباحث بالتعرض للأحداث التاريخية بالدراسة والتحليل، من حيث تفسير أسباب وقوعها تفسيراً علمياً ومنطقياً، والوقوف على النتائج التي ترتبت عنها.

وتستمد الدراسات التاريخية أهميتها من العوامل الآتية : إنها تساهم في الكشف عن النظريات العلمية والأساليب التي يعتمد عليها السابقون لحل مشاكلهم والتغلب على الصعاب، ومن خلال دراسة تلك النظريات والأساليب يمكن الربط بين الظواهر الحالية والظواهر الماضية. إنها تساعد على فهم الجوانب الإيجابية والسلبية بالنسبة لحياة الناس في الماضي ويسعى للاستعانة بها في حل مشاكله الحالية، ويأخذ العبرة من نقاط الضعف فيعمل على تجنبها. إنها تعطي

فكرة مصغرة عن العلاقة بين الظواهر الاجتماعية والعوامل التي أدت إلى نشأة و بروز تلك المشاكل التي واجهها الناس في فترة معينة من الزمن⁽³⁾.

تحليل المحتوى: وقد عرف L.BARDIN تحليل المحتوى: "عملية أو مجموع العمليات التي تهدف إلى تمثيل محتوى وثيقة معينة على شكل يختلف عن شكلها الأصلي من أجل تسهيل المعاينة أو وضعها في مرحلة لاحقة"⁽⁴⁾. وهذا النوع من الأبحاث مفيد بالنسبة لمعرفة عوامل التغير الاجتماعي وردود أفعال الناس لقرارات القيادة السياسية⁽⁵⁾.

أداة الدراسة: لقد بنينا شبكة تحليلنا اعتمادا على نظرية نقولاس هانز في تشكيل الأمة⁽⁶⁾، والعوامل التي نراها أساسية في تشكيل الشخصية الجزائرية هي: الوطن الجزائري، الدين الإسلامي، اللغة العربية، لأن من يدافع على هذه العوامل هو بذلك يحافظ على شخصية الأمة، ويحافظ بذلك على التمايز والتغاير عن غير، وبذلك هو لا يريد الذوبان في غير، لأن الذوبان يفقد كل شيء مميز. وهو بذلك يدافع عن التاريخ الجزائري والثقافة العربية الإسلامية. والشبكة مبنية على المعايير التالية: الوطن الجزائري، الدين الإسلامي، اللغة العربية. لأن الشخصية الجزائرية تكونت من تفاعل هذه العوامل ونتيجة لذلك يكون هناك تاريخ لان العوامل السابقة الذكر ضاربة في أغوار الماضي. ونتيجة هذا التفاعل تكونت ثقافة وطنية مميزة ذات أبعاد عربية إسلامية.

1. الدراسات السابقة والإطار النظري

1.1. تحديد المصطلحات:

1. **التعريف الإجرائي لمفهوم الوطنية :** تتمثل الوطنية في الوفاء للأمة، وذلك يعني الوفاء لمقومات هذه الأمة، وهذه المقومات كونت شخصية الأمة إذن يمكن أن نقول أن : " الوطنية الجزائرية هي الوفاء لمقومات الشخصية الجزائرية بالدفاع عنها، وعدم قبول غيرها من المقومات " أي أن الوطنية الجزائرية ترفض كل ما هو دخيل على الشخصية الجزائرية، من شأنه أن يتسبب من تمزيق لشبكة العلاقات الاجتماعية الثقافية.

2. **التعريف الإجرائي لمفهوم الطابع الوطني:** إن نظرية نيكل هانز تتركز حول نقطة هامة هي أن النظم القومية للتعليم تمثل التعبير الخارجي للنمط القومي وشخصية الأمة أو الطابع القومي تكشف عن شيء مميز للشعب الذي بنيت فيه.

أي أن الطابع القومي هو المعيار الجوهرى المميز للشعب الذي بني فيه. ولقد أشار هانز إلى العوامل التي تعمل على تكوين الأمة المثالية وهذه العوامل هي :

- 1- وحدة الجنس
- 2- وحدة اللغة
- 3- وحدة الأرض
- 4- وحدة الدين
- 5- السيادة الوطنية

ويذهب إلى أن شخصية الأمة هي نتيجة تفاعل الظروف التاريخية والجغرافية والدينية واللغوية والسلالة، ولا بد للنظم التعليمية أن تتأثر بهذه العوامل.

إذن: الطابع الوطني هو مجمل المقدمات، الأفكار، العادات والتقاليد، الدين، اللغة في تفاعلها مع بعضها البعض.

3. **التعريف الإجرائي للمشروع الفرنسى :** المشروع الثقافى الفرنسى هو المخطط الذي

سطرته إدارة الاحتلال انطلاقا من رؤى نظرية بغية الوصول إلى غايتين هما:

- طمس الشخصية الجزائرية.

- إحلال تربية تخدم مصالحه.

4. **التعريف الإجرائي للحركة الوطنية الجزائرية :** الحركة الوطنية هي الاتجاه السياسى فى

الكفاح قامت على أنقاض الكفاح المسلح (الثورات، الانتفاضات)، وبرزت على شكل ثلاث تيارات رئيسية:

(1) التيار الاستقلالى متمثلا فى نجم شمال إفريقيا.

(2) التيار الإصلاحى بزعامة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

(3) التيار الاندماجى يمثلته الاتحاد الديمقراطى للبيان الجزائرى. وقد انقسمت الحركة

الوطنية على هذا الشكل بسبب الخلفية الفكرية (الأيدولوجية) لكل حركة.

1.2 الدراسات السابقة:

1. دراسة سمير أبيش 2015⁽⁷⁾: تهدف هذه الوقوف على ملامح المشروع التربوي الذي أقامته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومدى مساهمته في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية. ولقد اتخذت الدراسة من المنهج التاريخي وتقنية تحليل المحتوى كأدوات منهجية، ولقد توصلت إلى النتائج التالية: أن الجمعية استطاعت تجسيد المشروع التربوي على البعد الوطني من خلال اعتماد اللغة العربية والتركيز على القيم والتعاليم الإسلامية والاهتمام بالتاريخ الوطني. كما أسهم المشروع التربوي في الحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية.
2. دراسة قريشي نسيم 2015⁽⁸⁾: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور ومدى مساهمة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في الحركة الوطنية كنموذج من النضال السياسي بعد الحرب العالمية الثانية ولقد اتخذت من المنهج التاريخي وتحليل وربط المعطيات التاريخية كأدوات منهجية، ولقد توصلت إلى: أن الاتحاد الديمقراطي يتميز على بقية التشكيلات الأخرى فقد ركز على تكوين دولة جزائرية مستقلة داخل الاتحاد الفرنسي، وأنه يرفض الإدماج والانفصال عن فرنسا وأنه يعمل على تحقيق المساواة والحرية، وضد العمل المسلح. كما دعت وشكلت مع باقي التشكيلات الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، رغم أنها لم تعمر طويلا، إلا أنها تعتبر أول اتحاد عام في تاريخ الجزائر بين مختلف التيارات الوطنية.
3. دراسة الطاهر الغول 2014⁽⁹⁾: تهدف إلى معرفة نظرة تيارات الحركة الوطنية على اختلاف اتجاهاتها إلى فكرة الدولة الجزائرية في ظل واقع الاحتلال الفرنسي. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، وتوصل إلى: تجذر فكرة الوطنية الجزائرية، عبر عملية تراكمية تاريخية. لقد استطاعت الحركة الوطنية بمفاهيمها المتعددة التصميم على استرجاع الدولة الجزائرية، انطلاقا من تكريس سياسة رفض الاستعمار سواء عند الذين رفعوا شعار الاستقلال من البداية أو الذين اقتنعوا به في النهاية.
4. دراسة بن مرسل حسين 1991⁽¹⁰⁾: تهدف إلى معرفة الرد التربوي لابن باديس على المشروع الاستعماري بإبراز أهدافه الإصلاحية ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج التاريخي وتوصل إلى: إن المشروع الإصلاحي لابن باديس يعتبر ردا تاريخيا على تحدي

المشروع الثقافي الاستعماري، وبذلك أعلن القطيعة مع الأطروحات الاستعمارية وعمل على إعادة بناء المجتمع الجزائري انطلاقاً من جذوره وأصوله التاريخية.

5. دراسة رابح تركي 1981⁽¹⁾: تهدف إلى إبراز دور التعليم القومي في المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية في الفترة الممتدة من 1931 إلى 1956 ومدى نجاحه في تحقيق ذلك. ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج التاريخي وتوصل إلى: أن هناك فعلاً دوراً كبيراً للتعليم القومي في المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية ومواجهة محاولات الاستعمار في طمس الشخصية الوطنية بشتى مقوماتها من دين ولغة وثقافة عربية إسلامية وتاريخ عربي إسلامي.

التعليق على الدراسات السابقة: من خلال العرض السابق للدراسات التي أجريت في هذا الموضوع يمكن استخلاص التالي: تتقاطع كل الدراسات مع الدراسة الحالية في استخدام المنهج التاريخي، والفترة المغطاة في البحث هي فترة الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1954)، تناولت الدراسات السابقة فكر الحركة الوطنية الجزائرية باختلاف تياراتها ومواقفها من الاستعمار ومشاريعه، بينما تناولت بعض الدراسات السابقة جهود بعض التيارات في الحركة الوطنية للمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية. وتتفرد الدراسة الحالية بالتركيز على مرحلة حاسمة من التاريخ الجزائري بالنسبة للمشروع الفرنسي من (1830-1954)، والحركة الوطنية الجزائرية، موقفها من هذا المشروع وما مدى تضمين مطالبها بمقومات الشخصية الوطنية وجهود بعضها للتصدي لعملية طمس الشخصية الوطنية. ويعد سبب كافٍ لإجراء هذا البحث لقلّة البحوث في مجال تاريخ الحركة الوطنية من منظور تربوي. واستفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في: تأسيسنا لإشكالية دراستنا، تم استخدامها في الإطار النظري، وتوجيهنا لمصادر البحث.

2.2. الإطار النظري :

مفهوم الشخصية القومية:

أ- مفهوم القومية: هي رابطة الحب الغريزي التي تربط الفرد بأبناء الأمة التي ينتمي إليها، وهي نزعة اجتماعية تفرض نفسها على الطبيعة البشرية⁽¹²⁾. وبذلك فهذه الدعوة تكون سياسية للتكتل والالتحام في كيان واحد، وليست دعوة عنصرية للاستعلاء العنصري، ولا دينية للتبشير.

ب- الشخصية القومية : تعرف دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية الشخصية القومية بأنها: "تعني دراسة السمات المميزة المستمرة لشعب دولة قومية معينة". وتعريفها كذلك نادية سالم بقولها: "إن الشخصية القومية هي السمات المميزة والمستمرة لشعب دولة قومية معينة، والتي هي انعكاس للواقع الاجتماعي والاقتصادي والتاريخي للمجتمع الذي يحيا فيه الفرد"⁽¹³⁾. إن رأي كلا التعريفين يشترطان وجود دولة قومية هذا يعني أنه إذا كانت تجزئة في أمة معينة فإن هذه الأمة تعد متعددة القوميات أي بمعنى آخر عدة أمم في أمة واحدة.

ج- مقومات الشخصية الجزائرية : الشخصية الجزائرية هي امتداد للأمة العربية، وقد تكونت عن امتزاج بين عنصري الأمازيغ والعرب مع بداية الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا، وقد نتج عن ذلك أمة جزائرية وطنها الجزائر، دينها الإسلام، لغتها العربية. وبذلك فقد تحدت مقومات شخصية هذه الأمة في العناصر التالية :

1. **اللغة العربية:** هي اللغة القومية والرسمية للأمة الجزائرية⁽¹⁴⁾. "الرابط التي تربط بين ما في الجزائر المجيد، وحاضرنا الأغر، ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين والجنسية والقومية، ولغة الوطنية المغروسة"⁽¹⁵⁾.

2. **الدين الإسلامي:** يعتبر من المقومات الجزائرية، وهو شرطا ملائما لنمو التضامن بين أعضاء هذه الجماعة⁽¹⁶⁾.

3. **التاريخ :** وكما قلنا سابقا أن التاريخ المشترك يعتبر من العوامل الأساسية لبناء الشخصية القومية، والتاريخ الجزائري هو امتداد للتاريخ العربي الإسلامي، مع وجود خصوصيتنا والمتمثلة في حقبة ما قبل الفتح الإسلامي.

4. الثقافة العربية الإسلامية : ثقافة المجتمع الجزائري نابعة من الثقافة العربية الإسلامية، ولها مميزات هي : إنها ثقافة عربية تشكل اللغة العربية إطارها مع الاحتفاظ بنوع من الخصوصية متمثلة في أن التراث الشعبي يختلف عنه في بقية الأقطار العربية الأخرى.⁽¹⁷⁾

5. الوطن : الوطن الجزائري جزء لا يتجزأ من الوطن العربي ويتميز هذا الوطن بأنه موقع جد إستراتيجي، وبثرواته الطبيعية والمعدنية، ويمكن تعريف الأمة الجزائرية: "بأنها الجماعة التي تسكن القطر الجزائري، والتي تشترك في الشعور، والتاريخ والآمال والثقافة (اللغة، الدين، التقاليد)"⁽¹⁸⁾.

مفهوم الطابع الوطني في ضوء نظرية نقولاس هانز:

نقولاس هانز 1969-1888 Nicholas Hans يعتبر واحدا من البارزين في مجال التربية المقارنة الذين نالوا احتراما عظيما، شغل منصب أستاذ التربية المقارنة بجامعة لندن⁽¹⁹⁾، تتركز نظريته حول نقطة هامة هي أن النظم القومية للتعليم تمثل التعبير الخارجي للنمط القومي، وشخصية الأمة أو الطابع القومي تكشف عن شيء مميز للشعب الذي بنيت فيه، أي أن الطابع القومي هو المعيار الجوهرى المميز للشعب الذي بني فيه.⁽²⁰⁾ ولقد ذكر هانز في كتابه "التراث التربوي" خمسة عوامل تعمل على تكوين الأمة النموذجية هي: وحدة الجنس، وحدة الدين، وحدة اللغة، التركيب الإقليمي والسيادة السياسية، ولكن قد ينقص أحد هذه العوامل دون أن يترتب على ذلك تحديد لوحدة الثقافة القومية.⁽²¹⁾ ويعتبر أن النظم القومية تتمثل في التعبير الخارجي للنمط القومي وشخصية الأمة في نظره ما هي إلا نتيجة تفاعل الظروف التاريخية الجغرافية والدينية واللغوية والسلالية وتتأثر النظم القومية بهذه العوامل إلى درجة كبيرة.⁽²²⁾

المشروع الثقافي الاستعماري:

1. فلسفة المشروع الاستعماري : انتهج الاستعمار الفرنسي منذ دخوله للجزائر طريقتين لتحقيق أهدافه المتمثلة في طمس الشخصية الوطنية بشتى مقوماتها هذين المنهجين أو الطريقتين هما:

- مرحلة هدم مقومات الشخصية الوطنية

- مرحلة إحلال تربية موالية محلها.⁽²³⁾

إضافة إلى مظاهر هدم مقومات الشخصية الوطنية المختلفة من تدمير للمساجد والزوايا والمدارس الإسلامية وتقتيل العلماء المسلمين وتشريد المتعلمين، عكف الاستعمار لإرساء ثقافته وهويته، وقد جسد هذا بتشجيع التعامل باللغة الفرنسية ومساعدة المبشرين. الفلسفة المتبناة من طرف الاستعمار لن تمس الجانب التربوي فقط، بل تعدته إلى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري، وما يهمنا في بحثنا هو علاقة هذه الفلسفة أو هذه السياسة بالجانب التعليمي والتربوي، فأهمية الأمر تكمن في أنها تمس بثقافة وهوية أمة بكاملها.

وتتلخص الأهداف التربوية للمشروع الاستعماري في النقاط التالية:

1. تجهيل الجزائريين ويقابله الرفع بالمستوى التعليمي للمعمرين.
2. استبدال اللغة العربية باللغة الفرنسية في جميع مجالات الحياة.
3. محاربة الدين الإسلامي بتنصير الجزائريين والقضاء على مؤسسات تعليم الدين الإسلامي.

4. وانطلاقا من كل هذا يمكن إلحاق الجزائر نهائيا من فرنسا.⁽²⁴⁾

ولعل أهم مظهر من مظاهر هذا المشروع هو تجهيل الشعب بعد أن بات من الصعب على المستعمر الفرنسي، إن لم نقل من المستحيل تنصير هذا الشعب، لأن الدين الإسلامي وتعاليمه كانت تسري في دم الجزائريين مسرى عميقا. لذلك لجأ الاستعمار إلى سياسة التجهيل بالقضاء على المساجد والمدارس الإسلامية، رغم سماحه بتعليم القرآن الكريم في بعض الأماكن، ومع هذا منح تفسيره. حتى أن دور الزوايا انحرف عن طريقه الأول، فأصبحت تبث الخرافات والأكاذيب بين صفوف الشعب وانحصر دورها إلى حد كبير.

أسس التربية الاستعمارية في الجزائر :

هدف المشروع التربوي الاستعماري إلى إقامة نموذج تربوي خاص تمثله المؤسسة المدرسية التي غايتها مواصلة تهد مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية. وقد تعددت وتفرعت الأسس التي انطلق منها الاستعمار في إرساء تربية استعمارية في الجزائر.

وتقسم هذه الأسس إلى قسمين : خاصة بالاستعمار، وأسس عامة تتعلق بالعوامل الأخرى، فأما الأسس الخاصة بالاستعمار فيمثلها مركب التفوق الذي يتميز به الاستعمار الفرنسي، وقد اتخذ الاستعمار من هذه الصفة مبدأ أساسيا في ممارساته العامة والتربوية ، حيث كان ذلك مبررا لقيامه بمجموع الأساليب التدميرية للمجتمع الجزائري. نذكر كذلك إضافة إلى الأسس الخاصة بالاستعمار أهمية التربية في عملية الاستعمار بحيث أدرك الاستعمار أنه لن يتمكن من تفكيك المجتمع و التحكم فيه إلا إذا سيطر على التربية، لأنها وسيلة فعالة تحدد نخط الحياة في المجتمع.

إن فهم ودراسة الاستعمار الفرنسي لهذه العملية مكنه من التفطن لمواطن الضعف والنقص في المجتمع

الجزائري وبالتالي تدعيم مشروعه التربوي الذي كان سائدا في الجزائر قبل الاستعمار كالمبشرين مثلا. وبذلك انطلق المشروع التربوي الاستعماري من وجهة نظر منفعية بحتة.

وأما الأسس العامة، فتحدها وضعية التربية في الجزائر في تلك الفترة، بحيث كان التعليم قبيل مجيء الاستعمار مؤديا لوظيفته الاجتماعية بصفة جيدة وفعالة بالرغم من بساطته، إذ كانت المدارس منتشرة بعدد لا بأس به في جميع أنحاء البلاد وفي شتى مراحل التعليم.(25) **مكونات المشروع الاستعماري:** لقد لخص مصطفى زايد(26) الأسس التي اعتمدها السياسة الفرنسية في الجزائر المتمثلة في النقاط الأربع التالية:

- تفكير السكان الجزائريين، وهو ما يقابله رفع مستوى معيشة الأوروبيين .
- تجهيل السكان الجزائريين، مقابل رفع المستوى العلمي للأوروبيين.
- تنصير الجزائريين والخط من شأن الإسلام والمسلمين.
- تبديل اللغة العربية باللغة الفرنسية.

ونرى أن من أهم مكونات هذا المشروع الاستعماري ما يلي:

1-التنصير: مباشرة بعد الغزو الفرنسي للجزائر تم الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية التي تمول الخدمات الدينية والثقافية والتعليمية والاجتماعية للجزائريين، وشرع في تطبيق مخطط تنصير الشعب الجزائري حتى يسهم عليه أمر استغلاله وحتى ينتزع منه تعاليم الإسلام التي تدعو إلى الجهاد. وهكذا: « صار احتقار الدين الإسلامي وشريعته السمحاء جزءا أساسيا من التفكير الصليبي الاستعماري الذي لم يكتفي فقط بانتهاك ودوس كرامة الإنسان الجزائري. بل داس كل مقدسات الأمة محول المساجد إلى كنائس والمحاكم الإسلامية إلى منازل للضباط الفرنسيين، وهكذا فقد شجعت الإدارة الفرنسية منذ البداية عملية التنصير وأنشأت أماكن خاصة بالآباء البيض عبر التراب الوطني ليباشروا أعمالهم في بث الخرافات والتشويه والتشكيك في المعتقدات الإسلامية». (27) وقد تزامن قدوم هؤلاء الآباء البيض مع حدوث أكبر مجاعة في تاريخ الجزائر سنة 1867 والناجمة عن عواقب مكافحة الاستعمار، والحروب الجارية هنا وهناك ضده، وما أعقبه ذلك من حرق للمحاصيل ودمار، للأبار المخصصة للزراعة والشرب، وقد استغلت السلطات الفرنسية هذه الظروف، حيث كان يتم استدعاء الأهالي إلى الكنائس ويقترحون عليهم ترك الدين الإسلامي مقابل الحصول على شيء من الطعام. إن هذا الحقد الاستعماري الصليبي على الجزائر العربية الإسلامية راجع للدور الكبير الذي لعبته الجزائر خلال حقبات عديدة من تاريخها في صد الهجمات الصليبية ضد البلاد الإسلامية، وخاصة بعد سقوط غرناطة (1495). (28)

2-التجهيل: بعد أن تأكد لفرنسا استحالة تنصير الشعب الجزائري وذلك لتمسكه الشديد بأصاليته ودينه، اتجهت إلى أسلوب التجهيل، بحيث أغلقت المدارس الإسلامية وتلك الخاصة بتدريس اللغة العربية. كما لجأت إلى بث الخرافات بين الناس.. وقد لعبت الزوايا التي حرق دورها في هذه العملية دورا كبيرا، وقد كانت هذه الزوايا تخضع لمراقبة خاصة ودقيقة من طرف السلطات الفرنسية، وكان دور الزوايا خطير وكبير من حيث تحذير الشعب وإبعاده عن قواعد الدين الصحيحة الذي يحث على الجهاد. وهكذا تفسى الجهل والأمية بين الجزائريين، «إن هذه الوضعية بقيت حتى مطلع القرن التاسع عشر مع ظهور العلماء المصلحين وظهور الحركة الوطنية. وبالتالي عملت فرنسا على تجهيل الجزائريين وتجديدهم من أصالتهم ومحو ثقافتهم

العريقة ودفعتهم إلى الحياة بأساليب بدائية متوحشة، بحيث كان للقضاء على المساجد دور مهم في هذه العملية لما لأهميتها في نشر العلم والتوعية ومختلف النشاطات الثقافية والاجتماعية. (29)

إن هذه السياسة عملت على إيصال الجزائريين إلى مرحلة التحييد الثقافي أي تجهيلهم بمبادئ ثقافتهم وطمس معالم حضارتهم من جهة، ومن جهة أخرى جعلتهم غير قادرين على استيعاب التراث، وانعكس ذلك سلبيا على نتائج تعليم الجزائريين، إذ يذكر الكاتب أن بعد مائة سنة من الاحتلال لم يتكون في المدرسة الفرنسية سوى 32 طبيا، 10 أطباء أسنان و35 صيدليا و509 معلما. (30)

التعليم: تطور المدرسة الفرنسية: لقد كان التعليم خلال الفترة الأولى يلقي داخل مؤسسات الكليات والزوايا سنة 1871 بـ2000 مؤسسة موزعة في جميع أنحاء القطر. وقد ساهمت هذه الزوايا والكتاتيب في تحفيظ القرآن الكريم ونشر الثقافة العربية الإسلامية. وإضافة إلى تلك الزوايا والكتاتيب كانت توجد مدارس دينية مسيحية تأسست سنة 1878 يسيرها مسيحيون كانوا يدعون أن مهمتها تربوية مهنية ولكنها في الحقيقة لا تخلو من الطابع التبشيري والسياسي.

كما أنشئت ثلاث مدارس حكومية بقسنطينة والجزائر وتلمسان تهدف إلى تكوين مرشحين إلى الوظائف الدينية والقضائية والتعليمية والإدارية. وإلى جانب ذلك كان هناك نوع من المدارس سمي بالمدرسة العربية الفرنسية. (31)

وانطلاقا من سنة (32) 1883 ظهرت نزعة لتوسيع التعليم لفائدة الجزائريين ولكن العملية لم تمس العدد الكبير من الأطفال الجزائريين ولكن هذه الفكرة لاقت استنكار واسعا من طرف الجالية الفرنسية وهذا راجع - حسبهم - إلى أن العلم والمعرفة من العوامل التي تساعد الأهالي على إجلاء المعمرين، ونتيجة لذلك فقد اقتصر التعليم على القراءة والكتابة، وعلى أبواب الحرب العالمية الأولى رفض المعمرين كل المشاريع الهادفة إلى إنشاء مدارس خاصة بأبناء الجزائريين ولكنهم كانوا موافقين على إنشاء تعليم مهني أو زراعي لتكوين أعوان يخدمون مصالحهم.

أما على مستوى التعليم الثانوي فكان لا يقبل من الجزائريين سنويا في هذه المرحلة من التعليم إلا العدد القليل جدا. وفي الفترة الممتدة بين 1954 و1962 تم تشييد عدة مدارس لتعليم العديد من الأطفال وقد قامت جمعية العلماء بعدة إجراءات كإرسال البعثات التعليمية إلى مختلف الدول الإسلامية. وهنا عاود الاستعمار محاربته للغة العربية ومنع تعليمها، وأغلق المؤسسات التربوية الخاصة، فعلى مستوى التعليم الابتدائي كانت لا تدرس إلا في مؤسسات حكومية قليلة وبتوقيت منخفض جدا.⁽³³⁾

أهداف المشروع الاستعماري: كما وإن أشرنا، فقد هدف المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر إلى طمس الشخصية الوطنية وإحلال ثقافة فرنسية موالية محلها، وقد عمل الاستعمار على تحقيق هذه الأهداف على مستوى المقومات التالية :

1- الدين: لقد حاول الاستعمار إخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي وتنصيرهم حتى يصبحوا مسيحيين أي إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر، ويقول رابح تركي أن السياسة التنصيرية للجزائريين تجلت في تصريح فرنسا (غداة احتلالها لعاصمة الجزائر عام 1830 بأن من جملة أهدافها من وراء عملية غزو الجزائر هو العمل على نشر المسيحية فيها والقضاء على الإسلام).⁽³⁴⁾

وبالتالي فقد إحتضنت فرنسا في الجزائر سياسة تبشيرية وقد تعاونت بصفة كبيرة مع الهيئات التبشيرية المسيحية من مختلف أنحاء العالم من أجل القضاء على الإسلام الذي عرقل المحاولات الاستعمارية لتحطيم مقومات الشخصية الجزائرية. وهذا ما يوضحه أن شؤون الدين الإسلامي وتعليمه ظلت طيلة فترة الاستعمار خاضعة للسيطرة الفرنسية . وإلى تحويل العديد من المساجد ، ومن بين تلك المساجد مسجد كتشاوة بالعاصمة، وجامع الباي بقسنطينة ولقد كان للغزو الاستعماري الصليبي على الجزائر آثار عميقة على حياة الأمة الإسلامية عامة، فقد فرض هذا الغزو ثقافته وقانونه وقضائه .

2- اللغة: كما شرع الاستعمار مند السنوات الأولى للاحتلال إلى محاربة اللغة العربية حتى أنه اعتبرها لغة أجنبية في برنامج التدريس ومنع تعلمها في مؤسسات التعليم الفرنسية كانت أو حرة إلا من خلال ترخيص من قبل الإدارة الفرنسية. كما تمثلت محاربة الاستعمار للغة العربية

خلال مراحل التعليم، من خلال عدة إجراءات مثل فرنسة التعليم الابتدائي وجعل اللغة العربية أجنبية، واختياره في المراحل الأخرى.

وكان الهدف من فرنسة التعليم الابتدائي الأولي هو أن تتكون شخصيات الأطفال تكويناً مخالفاً لقوميتهم ووطنيتهم وثقافتهم العربية الإسلامية.

3- التاريخ: كان تاريخ الجزائر ببعده العربي الإسلامي وهو من المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية، قد تعرض هو الآخر لمخاربة من الاحتلال وقد تمثلت هذه الحرب حسب تركي رابح⁽³⁵⁾ في الأمرين التاليين:

- رفض تعليم تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام لأبناء الجزائر في المدارس الفرنسية التابعة لإدارة الاحتلال إلا في نطاق محدود جداً ومن وجهة النظر الاستعمارية، واستبداله بتدريس التاريخ الفرنسي في جميع مراحل التعليم واعتبار تاريخ فرنسا هو التاريخ القومي والوطن للجزائريين بهدف القضاء على الشخصية الجزائرية، ومنع معاهد التعليم العربي الحر من إدخال مادة التاريخ الجزائري العربي الإسلامي في برامجها.

كما عمل أيضاً على تشويه قدر معين تسمح إدارة التعليم التابعة للاحتلال بتدريسه لأبناء الجزائر حتى يخدم مصالح الاحتلال في محاولة مسح الشخصية الوطنية للجزائر. والهدف من ذلك هو محاولة إقناع الجزائريين بأن بلادهم لم تكن لها شخصية قومية في التاريخ.

5 - الثقافة: لقد رمت سياسة فصل الجزائر عن العالم العربي وفرنسة التعليم والإدارة، ونهب التراث الوطني العربي الإسلامي ومحاولة تشويه التاريخ الجزائري إلى تحقيق هدف واحد وهو القضاء على الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر. وقد حقق التعليم العربي الحر نجاحاً كبيراً في مجال إحياء الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، حيث عمل على ربط الجزائر ثقافياً وحضارياً بالثقافة العربية الإسلامية.

الحركة الوطنية الجزائرية:

1- الاتجاه الإصلاحية: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: تأسست في شهر ماي 1931 في نادي الترقى بالجزائر، وقد تولى رئاستها الإمام بن باديس من 1931 إلى 1940 ثم تولى رئاستها البشير الإبراهيمي من عام 1940 إلى الثورة المسلحة وهي في خدمة

الجزائر⁽³⁶⁾. تتلخص مبادئها في شعارها المعروف "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا" ⁽³⁷⁾، تهدف إلى تحقيقها في الأمور التالية: الدفاع والمحافظة على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها، بإعادة الإسلام إلى مكانته الطبيعية إحياء اللغة العربية، العمل على تحرير الوطن الجزائري، محاربة التنصير والقضاء على السياسة الفرنسية والتجنيس والإدماج.⁽³⁸⁾

2- **الاتجاه الاندماجي**: تعتبر أول بداية لهذا الاتجاه في حركة الأمير خالد بن هشام في العشرينات والمتمثلة في المطالبة بالمساواة بين الجزائريين الذي يمثلون الأغلبية والأقلية الأوروبية المستعمرة.⁽³⁹⁾

3- **الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري**: أسس فرحات عباس في افريل 1946 حزب تحت اسم "الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري"⁽⁴⁰⁾، وبدأ يطالب بفكرة إنشاء جمهورية جزائرية مستقلة استقلالا ذاتيا ومتحدة مع فرنسا⁽⁴¹⁾. تقدم الاتحاد الديمقراطي في البرلمان بمشروع الدستور الجزائري بتاريخ 01 مارس 1947⁽⁴²⁾. إن إيديولوجية الاتحاد الديمقراطي تبني على ثلاث ركائز لم تتغير حتى بعد إن اندلعت ثورة نوفمبر وهي: إقامة جمهورية جزائرية مستقلة استقلالا ذاتيا ومتوحد مع الجمهورية الفرنسية.⁽⁴³⁾ الجمهورية الجزائرية علمانية، موقفها حيادي من جميع الأديان.⁽⁴⁴⁾ أن تكون اللغتين العربية والفرنسية رسميتين في الجمهورية الجزائرية مع إجبارية التدريس بهما معا في كل مراحل التعليم.⁽⁴⁵⁾

4- **التجمعات الوطنية: المؤتمر الإسلامي**: كان الغرض منه هو محاولة جمع الصفوف على اختلاف اتجاهاتها السياسية، من أجل الحصول على مطالب سياسية، ثقافية، اجتماعية، واقتصادية، انعقد سنة 1936 بالجزائر وشارك فيه: إتحاد المنتخبين الجزائريين، الأعضاء الجزائريون في الحزب الاشتراكي الفرنسي، الأعضاء الجزائريون في الحزب الشيوعي الفرنسي وجمعية العلماء، ولم يشارك فيه نجم شمال إفريقيا، وقد عين المؤتمر وفدا ذهب إلى باريس لعرض مطالبه على المسؤولين على فرنسا ولكنهم لم يحصلوا على شيء.⁽⁴⁶⁾ اعتبر المؤتمر أول تجمع من نوعه في الجزائر منذ الاحتلال، إذ جمع أكبر حشد سياسي عرفته البلاد.⁽⁴⁷⁾

3. **عرض وتفسير النتائج** : اعتمادا على تحليل محتوى برامج ومطالب كل حركة، طبقنا لهذه الشبكة.

1. حزب الشعب:

الوطن: قد عبر حزب الشعب بصراحة عن الاستقلال كما يلي: استقلال الجزائر الكامل، جلاء تام لجيش الاحتلال وتكوين جيش وطني وما نستنتجه هو الدعوة إلى السيادة الوطنية وأن تصبح كل الممتلكات تحت السيادة الجزائرية.

اللغة: عبر عنها بوضوح فيما يلي: التعليم الإجباري للغة العربية، ستكون اللغة العربية هي الرسمية وكل الأعمال الرسمية يجب نشرها بالعربية والفرنسية في نفس الوقت إن الحزب كان يطالب باللغة العربية كلغة رسمية ونجد انه كرر ذلك أربع مرات، لكن مرة اقترن العربية مع الفرنسية وبهذه سبق العربية على الفرنسية.

الدين: تبني بصفة ضمنية الدين الإسلامي الذي يعتبر الدين الرسمي للجزائر ومقوما للشخصية الجزائرية. بمطالبته بالاستقلال التام، وأن العربية هي الرسمية وعملا منه بالمبادئ الإسلامية نجد أن هذا التيار قد رفض المشروع الثقافي الفرنسي بدليل أن اللغة والدين الإسلامي يكونان ثقافة عربية إسلامية موازية تماما لثقافة الفرنسية، وبذلك فهو يدافع عن المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية: الوطن، العربية، الدين الإسلامي. ومن خلال ما سبق نستنتج أن هذا التيار وطني لأنه دافع عن مقومات الشخصية الجزائرية وقام بجهود للمحافظة عليها، لان هذه المقومات في تفاعلها مع الظروف التاريخية، الجغرافية والدينية واللغوية والصلالية تأثر في النظام التعليمي الوطني لتشكيل طابع وطني جزائري خاص.

2. جمعية العلماء:

الوطن: لم تأت بصريح العبارة للمطالبة بالاستقلال لأنها حركة إصلاحية وليست حزبا سياسيا كما جاء ذلك في الفصل الثالث من القانون الأساسي للجمعية، إلا أننا نلمس تصريح ضمني في الاستقلال في مايلي: للجمعية إن تؤسس شعبا في القطر الجزائري، وأن تفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم الابتدائي. إن الجمعية كما قلنا لم تأت بصريح العبارة في المطالبة باستقلال الجزائر، لان المطالبة بهذا الأخير تعتبر مطلب سياسي وهي بعيدة عن السياسة،

وكذلك خوفا من المضايقة الفرنسية، إن القول بالقطر الجزائري يعني رفض الاندماج مع فرنسا ويعني التمسك بالخصوصية والتغاير وبذلك الإدارة في تكوين كيان مستقل ومتميز.

اللغة: نجد هناك عبارة صريحة عن اللغة "شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب" ومطالبة الجمعية بفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم الابتدائي. وإن التعليم العربي الحر نلمسه من اسمه أي أنه يتم باللغة العربية. الدين: مطالبة الجمعية بتطبيق مبادئ الإسلام كتابا وسنة إن الجمعية عندما لم تأت بصريح العبارة في المطالبة باستقلال الوطن الجزائري واللغة العربية، لا يعني بأنها تجاهلت هاذين المقيمتين الأساسيتين للشخصية الجزائرية، بل لأنها كانت حركة إصلاحية لا تريد إن تخوض في السياسة ولأننا نجد شعارها هو، الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا، وهنا الشعار ضمينا كان صريحا في محتواه.

الدين: إن مطالبة الجمعية بتطبيق الدين الإسلامي كتابا وسنة وانطلاقا من شعارنا، وبذلك نستنتج إن جمعية العلماء رفضت المشروع الفرنسي بدليل أنها تطالب بالدين الإسلامي واللغة العربية الذين يكونان ثقافة عربية إسلامية موازية تماما للثقافة الفرنسية، وبذلك دافعت عن الدعائم الرئيسية للشخصية الوطنية من وطن ودين ولغة. ومن خلال ما سبق نستنتج إن هذا التيار وطني لأنه كان يدافع على مقومات الشخصية الجزائرية، كما أنها قامت بمجهود لمحاولة بعث وإحياء الشخصية الجزائرية وبذلك فهي عملت على بناء طابع وطني جزائري.

3. حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

الوطن: هذا الحزب لا يدعو إلى استقلال الجزائر التام من خلال العبارات التالية: إنشاء جمهورية جزائرية مستقلة استقلالاً ذاتياً، تعترف بها الجمهورية الفرنسية. تدخل هذه الجمهورية عضواً في الاتحاد الفرنسي كدولة مشاركة، وتكون العلاقات الخارجية والدفاع الوطني معا تشرف عليها سلطات الاتحاد وتشارك الجزائر في ممارستها لتلك السلطات. لم يطالب باستقلال الجزائر التام وطالب بالاستقلال الذاتي في إطار الاتحاد الفرنسي.

اللغة: وجاء في عبارة التالية: تكون اللغتان العربية والفرنسية هما اللغتان الرسميتان للجمهورية الجزائرية، وما نلمسه في هذه العبارة جعل المساواة بين اللغة الأصلية واللغة الدخيلة وجعلها لغتان رسميتان. الدين: جمهورية علمانية، موقفها حيادي من جميع الأديان، وبذلك لا يدافع

عن الإسلام. ومن خلال ما سبق نستنتج إن هذا الحزب لم يعبر عن آمال الشعب في الاستقلال التام وبرنامجهم هذا فهو يخدم المصالح الفرنسية أكثر ما يخدم المصالح الجزائرية، وبذلك لا يمكن تصنيفه في التيار الوطني لأنه لم يضمن برنامجهم المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية، وهو يدعو إلى الاندماج لا الاستقلال. نستنتج أنه لم يرفض المشروع الثقافي الفرنسي فقط بل أيده لأن ازدواج اللغة يؤدي إلى ازدواج في الثقافة وبذلك تكون لدينا ثقافة العربية وثقافة الفرنسية. والتعارض قائم بين الثقافتين لاختلاف مبادئها الأولى عربية إسلامية والثانية فرنسية مسيحية ومن خلال المعطيات السابقة نستخلص أن بمطالب هذا التيار لا تخدم المصلحة الوطنية وبذلك فإننا لا يمكن إدراجه ضمن التيار الوطني لأنه لم يضمن مطالبه المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية، ولم يطالب بتكوين كيان جزائري ذا سيادة وطنية له دينه ولغة رسمية، أي أنه لم يكن له أي تصور لبناء طابع وطني جزائري ومستقل.

4. المؤتمر الإسلامي:

الوطن: لم يطالب باستقلال الجزائر حيث لا يوجد أي شيء يدل على ذلك وكان يطالب بالاندماج نتيجة العبارة الصريحة التالية: "إلحاق الجزائر بفرنسا رأساً".

اللغة: إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل استثنائية واعتبارها لغة أجنبية. الحرية التامة في تعليم اللغة العربية وحرية القول لصحافة العربية. كان يطالب باللغة العربية لكن لا نجد أي تلميح على أنها هي اللغة الرسمية بل كان يحاول إعادة الاعتبار لها حسب ما جاء في العبارة الأولى.

الدين: فصل الدين الإسلامي عن الدولة بصفة تامة وإرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجمعيات الإسلامية لتتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسسة تأسيساً صحيحاً. ما نفهمه من الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة هو محاولة فصل الدين الإسلامي عن الإدارة الفرنسية. من خلال ما سبق نستنتج أن هذا التيار لا يعتبر وطني مادام لم يطالب باستقلال الجزائر التام ودعا إلى إلحاقها بفرنسا، ولم يضمن مطالبه المقومات الأساسية للشخصية الوطنية، وجاء فقط ليطالب بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين لا بالاستقلال رغم وجود تيار

وطني ضمنه والمتمثل في جمعية العلماء المعروفة بمحاربتها للأفكار الاندماجية. أي أنه لم يكن له أي تصور لبناء طابع وطني جزائري ومستقل.

4. الخاتمة : بعد تعرضنا لتحليل برامج الحركة الوطنية وجهود بعض تياراتها التعليمية نستنتج

أن: التيارين الاستقلال والإصلاحي قد رفضا المشروع الثقافي الفرنسي لأنها ضمنا برامجها تحمل أبعادا وطنية متمثلة في الدفاع على مقومات الشخصية الجزائرية المتمثلة في الوطن الجزائري، اللغة العربية، والدين الإسلامي، وعلى غرار ذلك قاما بجهود تربوية وتعليمية للمحافظة على الشخصية الجزائرية وبعثها بعد إحيائها، والوقوف في وجه المشروع الثقافي الاستعماري، وقد رفض التيار الاستقلالي المشروع الاستعماري جملة وتفصيلا. وقد جاء في هذا الرفض كون أن هذا التيار المتمثل في نجم حزب الشعب كان متكونا من قاعدة الشعب، والمعروف أن النجم تأسس في فرنسا على يد أهالي من شمال إفريقيا وأكثريتهم جزائريون، كانوا عمال كادحين لهم مستوى تعليمي متوسط وهناك من ينعدم منه، وكان الاستعمار يطلق عليهم اسم "الأهالي" ونلاحظ ما تحمله هذه الكلمة من احتقار وتمييز، وقد كانت هذه الشريحة تعاني الفقر والجهل... وتحكمها قوانين تعسفية، فكان أن رفضوا الاستعمار رفضا قاطعا ورفضوا كل ماله علاقة بالمستعمر ومنه المشروع الثقافي إذ فضلوا الجهل والأمية على التعلم في المدارس الفرنسية لأنهم مدركون لخطر هذا التعليم الذي يجردهم من ذواتهم ومن ثم كل شيء الأرض والحياة والمستقبل. فرفض هذا المستعمر ومشروعه هدفه الأساسي هو تكوين كيان جزائري مستقل ومميز تسوده المساواة والحرية ولا تحكمه القوانين التعسفية. وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد رفضت الطرح الفرنسي التمثيل في مشروعه الثقافي، لأنها حركة إصلاحية وقد تزامن ظهورها واحتفال فرنسا بمائته عام من احتلالها للجزائر وهو يعني -تغريب الجزائر- فكان إنشاء الجمعية لإصلاح ما أفسده المستعمر، خاصة وأنه في هذه الفترة بدأت بذور المشروع الاستعماري تعطي ثمارها فجاء إنشاء الجمعية للتصدي للمشروع والعمل على إحياء وبعث الشخصية الجزائرية من جديد، وعندما باشروا بالإصلاح انطلقوا من البعد التاريخي لأنهم تأكدوا واقتنعوا على أنه هو الإطار المهم للشخصية الجزائرية، فلقد أرادوا تكوين كيان جزائري مستقل ومميز ذو أبعاد عربية إسلامية.

أما التيار الاندماجي والمتمثل أساسا في الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والذي لم يبد أي معارضة للمشروع، ونستطيع أن نقول أنه كان يؤيد المشروع الثقافي الاستعماري، لأنه وضع برنامج سياسي يخدم هذا المشروع بمبادئه بالمساواة بين اللغة العربية والفرنسية، وكذلك م يتضمن برنامجا أبعاد وطنية تدافع عن كيان الشخصية الوطنية. وبما أنه لم يرفض المشروع الثقافي الاستعماري لأنه كانوا ذو ثقافة فرنسية وبذلك فهم يمثلون النخبة الجزائرية المفرنسة، المتأثرة بالحضارة الغربية وكانوا مؤمنين برسالة فرنسا (الحضارية)، التي حسب رأيهم لا غنى عنها في الجزائر فأمنوا بمزاعم فرنسا بأنها جاءت للجزائر لنشر رسالتها الحضارية.

وكذا فإن هذه النخبة كانت لا تعاني الفقر لأنها تطيع فرنسا فكان مستواهم المعيشي لا بأس به مما أتاح لها فرصة التمدد. فلم يرفض المشروع الثقافي الفرنسي، لعدم مطالبته بالاستقلال الكامل عن فرنسا بل يريدون الاندماج معها والمطالبة ببعض الحقوق في المساواة بين الجزائريين والأوروبيين في الجزائر. ولهذا فإن هذا التيار لم يبد أي رغبة في تشكيل كيان مستقل ومتميز فتكروا للشخصية الجزائرية وطالبوا بالاندماج مع فرنسا.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الوطنية فعلا هي التي أدت بالحركة الوطنية إلى رفض المشروع الثقافي الاستعماري واستبداله بمشروع تربوي متضمن الأبعاد الوطنية.

ومن خلال هذه الدراسة نستطيع أن نخرج بعدة نقاط هي: الشخصية الجزائرية هي امتداد للأمة العربية الإسلامية لكنها لها خصوصيتها من النواحي التالية: التاريخ، اللغة والثقافة، البيئة الجغرافية (مناخ- تضاريس). إن المشروع الثقافي الاستعماري كانت له " ثمار" في الجزائر وهي وجود فئة مفرنسة كانت تمثل آنذاك النخبة وتنكرت لتاريخ أمتها ولم تسير الحركة التحررية الثورية. المؤتمر الإسلامي سنة 1936 كانت نعمة ونقمة في نفس الوقت، نعمة لأنه يعتبر أول تكتل وتجمع وطني ضم حركات من إيديولوجيات مختلفة، ونقمة لأنه يعبر عن التقهقر والتراجع في المطالب.

الاقتراحات البحثية:

1- ما مدى تضمين بيان أول نوفمبر 1954 لمقومات الشخصية الجزائرية ؟

2- هل كان هناك تصور مستقبلي لبناء طابع وطني في المنظومة التربوية في غداة الاستقلال؟

5. الهوامش

- ¹ . بن نبي مالك (1981)، شروط النهضة، دار الفكر دمشق، الجمهورية العربية السورية، ص 155
- ² . De landsheere. G (1979), introduction à la recherche en éducation » 4em éd, édition.A.colin-Bourrelier Paris,p43.
- ³ .عمار بوحوش(1985)، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 24-25
- 4 . Bardin.L (1980) ,l'analyse du contenu, 2em édition , édition p.u.f Paris, p 46
- ⁵ . عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 33
- ⁶ . منير مرسي: مرجع سابق ذكره، ص 47
- ⁷ . سمير أبيش(2015)، مقومات الشخصية الوطنية والمشروع التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رسالة دكتوراه، جامعة بسكرة
- ⁸ . قريشي نسيم(2015)، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 1946-1956، مذكرة ماستر، جامعة بسكرة، الجزائر
- ⁹ . الطاهر الغول(2014)، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية (1919-1954)، رسالة ماجستير، جامعة الوادي، الجزائر
- ¹⁰ . بن مرسل حنين(1992)، الرد التربوي لابن باديس على المشروع الاستعماري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر
- ¹¹ . تركي رايح(1981)، التعليم القومي والشخصية الوطنية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2
- ¹² . محمد هاشم إسماعيل(1965)، المقومات الثقافية للمجتمع العربي، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، ص 31.
- ¹³ . سامي مصطفى(1979)، الشخصية القومية :دراسة نقدية مجموعة من الدراسات، مجلة قضايا عربية، عدد 02 حزيران-يونيو - 1979، ص 259

- ¹⁴. نور الدين حاطوم (1979)، تاريخ الحركات القومية في أوروبا، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، ج1، ص 08.
- ¹⁵. تركي رابح (1981)، مرجع سبق ذكره، ص 55.
- ¹⁶. نور الدين حاطوم (1979)، مرجع سبق ذكره، ص 10.
- ¹⁷. تركي رابح (1981)، مرجع سبق ذكره، ص 59.
- ¹⁸. سعد الله أبو القاسم (1983)، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 70.
- ¹⁹. عبد الجواد السيد بكر (2006)، التربية المقارنة والسياسات التعليمية، مطبعة السلام كفر الشيخ، مصر، ص 43.
- ²⁰. منير مرسي (1974)، الاتجاهات المعاصرة في التربية المقارنة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ص 46.
- ²¹. عبد الجواد السيد بكر (2006)، مرجع سبق ذكره، ص 44.
- ²². شبل بدران (2004)، التربية المقارنة ودراسات في نظم التعليم، ط4، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، ص 23.
- ²³. بوفلجة غياث (1991)، انعكاسات التربية الغربية علي الشعوب الإسلامية، دار الكتاب الجامعي القاهرة، ط1، ص 53.
- ²⁴. مباركي بوحفص (1994)، سياسة الأهداف التربوية من خلال المشروعات الوطني والفرنسي في الجزائر، قراءات في الأهداف التربوية، كتاب الرواسي، ط1، ص 45-61.
- ²⁵. بن مرسل حنين (1992)، الرد التربوي لابن باديس على المشروع الاستعماري، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، ص 45.
- ²⁶. مصطفى زياد (1986)، التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 103.
- ²⁷. صالح فركوس (1991)، أصالة وتغريب، دار الكوثر للنشر، الجزائر، ص 46.
- ²⁸. عمار قليل (1991)، ملحمة الجزائر الجديدة، دار البعث، قسنطينة، الجزء 1، ط1، ص 37.
- ²⁹. عمار قليل (1991)، المرجع السابق ذكره، ص 37.
- ³⁰. محمد العربي ولد خليفة (1979)، ملاحظات أولية حول تأثير المدرستين التقليدية والاستعمارية في نظامنا التعليمي الراهن، مجلة سيرتا، العدد 02، ص 97، 104 (بتصرف).
- ³¹. محمد العربي ولد خليفة (1979)، المرجع السابق، ص 105.

32. محمد العربي ولد خليفة(1979)، المرجع السابق، ص 106
33. محمد العربي ولد خليفة(1979)، المرجع السابق، ص 106
34. تركي رابح(1981)، التعليم القومي والشخصية الوطنية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، ص 109
35. تركي رابح(1981)، مرجع سبق ذكره، ص 132
36. تركي رابح(1981)، مرجع سابق ذكره ص 195
37. مصطفى زياد(1986)، التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 143
38. مصطفى زياد: المرجع السابق، ص 143
39. يحي بوعزيز(1986)، الادبيولوجيات السياسية للحركات الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 3
40. نورالدين ثنيو(2015)، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية، ط1، المركز العربي لأبحاث ودراسات السياسة، قطر، ص 514
41. محمد العربي الزيري(1999)، تاريخ الجزائر المعاصر الجزء الأول، منشورات إتحاد الكتاب العرب، ص 111
42. نورالدين ثنيو(2015)، مرجع سبق ذكره، ص 523
43. محمد العربي الزيري(1999)، مرجع سبق ذكره، ص 111
44. محمد العربي الزيري(1999)، سبق ذكره، ص 112
45. محمد بلعباس(2009)، الوجيز في تاريخ الجزائر، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 81
46. تركي رابح(1981)، مرجع سبق ذكره، ص 69
47. محمد الطيب العلوي(1985)، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، ط1، دار البحث قسنطينة، الجزائر، ص 138.

7. قائمة المراجع:

1. بن مرسل حسين، الرد التربوي لابن باديس على المشروع الاستعماري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1992

2. بن نبي مالك، شروط النهضة، دار الفكر دمشق، الجمهورية العربية السورية، 1981
3. بوفلجة غياث، انعكاسات التربية الغربية علي الشعوب الإسلامية، ط1، دار الكتاب الجامعي القاهرة، 1991
4. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981
5. سامي مصطفى، الشخصية القومية: دراسة نقدية مجموعة من الدراسات، مجلة قضايا عربية، عدد 02 حزيران-يونيو- 1979
6. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983
7. سمير أبيض، مقومات الشخصية الوطنية والمشروع التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، رسالة دكتوراه، جامعة بسكرة، 2015
8. شبل بدران، التربية المقارنة ودراسات في نظم التعليم، ط4، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، 2004
9. صالح فركوس، أصالة وتغريب، دار الكوثر للنشر، الجزائر، 1991
10. الطاهر الغول، مفهوم الدولة الجزائرية في فكر الحركة الوطنية (1919-1954)، رسالة ماجستير، جامعة الوادي، الجزائر، 2014
11. عبد الجواد السيد بكر، التربية المقارنة والسياسات التعليمية، مطبعة السلام كفر الشيخ، مصر، 2006
12. عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985
13. عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، دار البعث، قسنطينة، ط1، ج1، الجزائر، 1991

14. قريشي نسيم، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 1956-1946، مذكرة ماستر، جامعة بسكرة، الجزائر، 2015
15. مباركي بوحفص، سياسة الأهداف التربوية من خلال المشروعين الوطني والفرنسي في الجزائر، قراءات في الأهداف التربوية، كتاب الرواسي، ط1، الجزائر، 1994
16. محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، ط1، دار البحث قسنطينة، الجزائر، 1985
17. محمد العربي الزيري، تاريخ الجزائر المعاصر الجزء الأول، منشورات إتحاد الكتاب العرب، الجمهورية العربية السورية، 1999
18. محمد العربي ولد خليفة، ملاحظات أولية حول تأثير المدرستين التقليدية والاستعمارية في نظامنا التعليمي الراهن، مجلة سيرتا، العدد 02، 1979
19. محمد بلعباس، الوجيز في تاريخ الجزائر، دار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009
20. محمد هاشم إسماعيل، المقومات الثقافية للمجتمع العربي، دار النهضة العربية للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 1965
21. مصطفى زياد، التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986
22. منير مرسي، الاتجاهات المعاصرة في التربية المقارنة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1974
23. نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية في أوروبا، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، ج1، 1979
24. نورالدين ثنيو، إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية، ط1، المركز العربي لأبحاث ودراسات السياسة، قطر، 2015

25. يحي بوعزيز، الادبيولوجيات السياسية للحركات الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986
26. Bardin.L ,l'analyse du contenu, 2em édition, édition p.u.f Paris, 1980
27. De landsheere. G, introduction à la recherche en « éducation » 4em éd, édition.A.colin-Bourrelrier Paris, 1979